تقرير

مارلين خليفة
@marlenekhalife

موجز عن تاريخ وزارة الخارجية والمغتربين وصفحات من ولاية فؤاد بطرس

في تاريخ الديبلوماسية اللبنانية صفحات مضيئة سطرتها وزارة الخارجية في عهود مختلفة، ولعل هذه الوزارة ستكون الحجر الاساس في العهد الرئاسي المقبل. اعددنا في هذا التقرير موجزا عن نشأتها وابرز وزرائها: الوزير الراحل فؤاد بطرس

في 1 ايلول 1920 اعلن الجنرال غورو قيام دولة لبنان الكبير بحدودها الحالية، على ان تكون بيروت عاصمة لها. وفي 23 ايار 1926، صدر اول دستور لبناني الذي عدل مرات عدة في مراحل لاحقة. لكن دستور عام 1926 لم يضع حدا للانتداب الفرنسي بل اضفى عليه، عوضا عن ذلك، صفة اكثر رسمية، محددا صلاحياته المتعددة، ومنها سياسة لبنان الخارجية. تنص المادة 94 من دستور 1926: "تتفق الحكومة اللبنانية في ما بعد مع ممثل الدولة المنتدبة لانشاء وكالة لبنانية في باريس ووظائف لملحقين لبنانيين داخل البعثات والقنصليات الفرنسية في المدن الاجنبية حيث يوجد اللبنانيين." (موقع وزارة الخارجية والمغتربين في لبنان).

انشئ مكتب في باريس عام 1926 باسم الوكالة اللبنانية في باريس، وتم تعيين الفونس ايوب "ملحقا لبنانيا لمديرية دول المشرق الخاضعة للانتداب الفرنسي ليصبح ما بين 1937 و1944 مفوض الجمهورية اللبنانية". لكن المفوض اللبناني كان يتمتع بامتيازات محدودة جدا، فقد اقتصر دوره على الجانب الاداري فحسب، حيث اوكل اليه ارسال المعلومات من لبنان الى حكومة الانتداب الفرنسية وبالعكس. فضلا عن ذلك، تولى رفع التقارير الى اللبنانيين في شأن وضع الجالية اللبنانية في باريس.

غير ان الامور بدأت تتغير مع توقيع الاتفاق الفرنسي اللبناني في العام 1936 الذي منح لبنان سلطة اكبر على هذا الصعيد. فتم انشاء مكتب للشؤون الخارجية في 15 نيسان 1937، رغم ان اعماله بقيت محدودة.

بعد اعلان الجنرال كاترو استقلال لبنان، اصبح حميد فرنجيه اول وزير للخارجية في الحكومة التي شكلها عمر الداعوق في 1 كانون الاول 1941. فانطلق فرنجيه في عملية تخطيط فعال لبنية وزارة الخارجية، معينا حليم حرفوش اول مدير للوزارة والياس السخن اول موظف في قطاع الخدمة المدنية. اما مقر الوزارة، فكان داخل مبنى مجلس النواب.

يعود فضل المساهمة بشكل اساسي في ارساء اسس وزارة الخارجية كما هي عليه اليوم الى سليم تقلا، وزير الخارجية لثلاث ولايات متتالية ما بين 1943 و1945. في الوقت نفسه، افتتح لبنان المفوضية اللبنانية الاولى في لندن، ثم في القاهرة، فباريس، ووارسو، بالاضافة الى قنصليات عدة في لندن والقاهرة وباريس ومارسيليا والقدس. في هذه الفترة نفسها، اعلن لبنان عن نيته نسج علاقات ديبلوماسية مع الولايات المتحدة، الاتحاد السوفياتي، الصين، ايران، العراق والمملكة العربية السعودية، مباشرا بالتالي بانشاء مفوضيات له في هذه البلاد. في 30 آذار 1953، تم تحويل جميع المفوضيات اللبنانية الى سفارات (المرسوم رقم 1220). وقد ضمت المجموعة الاولى من الديبلوماسيين الذين تم تعيينهم بموجب مسابقة في العام 1944 الاسماء التالية: ادوار غرة، محمد خضري، اميل مطر، عزيز بركات، بول قلات، نجيب دحدح، يوسف قمر، انطوان فرنسيس، ادمون خياط، فؤاد خوري، ايلي معلوف، جوفري حداتي، عزت زين، يوسف شديد، اميل منسى، انطوان موصلي، البير سماحة، حسن صعب، جوزيف يزبك، نبيل نصير، رامز شمعة، جوزيف نفاع، هنري اسمر، عصام بيهم، ايلي بستاني، شفيق شبشب وفكري حيدر. يذكر كتاب "مذكرات موازية ومتقاطعة" لجورج فرشخ بعض الصفحات المضيئة في تاريخ الوزارة في عهد بطرس وبعض المواصفات التي وضعها الاخير وابرزها:

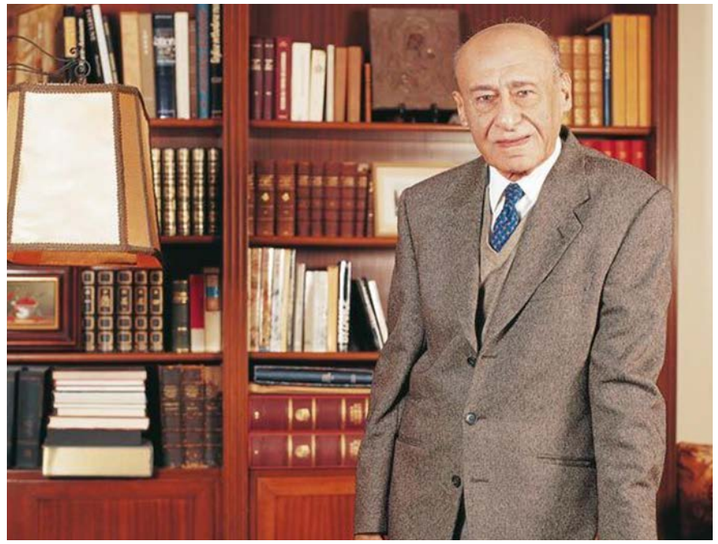

- يجب على وزير الخارجية ان يمنح لبنان ورقة رابحة اينما استخدمها.
- على لبنان ان يستعيد شيئا فشيئا وهجه في الساحتين العربية والدولية.
- ضرورة القيام بجولة على الدول صاحبة القرار والدائمة العضوية في مجلس الامن لاستجلاء مواقفها غداة ما يحصل في لبنان ومواقع اهتماماتها بلبنان في الصورة المستجدة في الشرق الاوسط.

اصغى فؤاد بطرس الى الرئيس المنتخب حديثا شارل حلو (عام 1964) الذي ارسله الرئيس فؤاد شهاب قبل انتهاء ولايته رسميا لحضور مؤتمر القمة العرب في الاسكندرية، واصغى الى الرئيس المنتخب باهتمام يروي له بالتفصيل كيف تمكن من ان ينتزع من القمة العربية القرارات المتطابقة مع المصالح اللبنانية، بدعم من الرئيس جمال عبدالناصر. لكن حين ابلغه انه سيكون عضوا في حكومة العهد الاولى، اعتذر فؤاد بطرس وطلب اعطاءه فترة عامين ينصرف خلالهما الى ترتيب اوضاع مكتبه للمحاماة ثم يلبي كل ما يطلب منه. فوجئ الرئيس المنتخب، لم يكن قد سمع، حتى تلك الساعة ان لبنانيا عرضت عليه وزارة واعتذر. لكنه رضخ لانه يعرف شدة عناد صديقه.

الرئيس شارل حلو هو اول من استشرف مواهب

حميد فرنجية هو اول وزير للخارجية في الحكومة التي شكلها عمر الداعوق في 1 كانون الاول 1941

فؤاد بطرس في السياسة الخارجية، فعهد اليه في هذه الحقيبة، في الحكومة التي شكلها الرئيس عبدالله اليافي في 8 شباط 1968. منذ ذلك الحين، ارتبط اسم فؤاد بطرس بها، ولم يعد يدعى الى تشكيلة حكومية الا وتسند اليه وزارة الخارجية، بالاضافة الى حقائب اخرى.

عندما اندلعت حرب حزيران 1967، لم يكن فؤاد بطرس وزيرا، ولا توقع، مثل كثيرين غيره ان يمنى العرب بالهزيمة النكراء التي سميت نكسة. على حد علمه، ان الرئيس عبدالناصر كان يهيء الجيش المصري ويتجنب بنباهة الاستفزازات الاسرائيلية، في انتظار ان يستكمل الجيش عدته وعديده. لذلك كانت مفاجأة فؤاد بطرس كبيرة يوم اتصل به الرئيس شارل حلو وطلب منه الحضور الى القصر بسرعة. وذهب الى سن الفيل، المقر الموقت لرئاسة الجمهورية، في انتظار الانتهاء من بناء قصر بعبدا وهو يتساءل عن سبب استعجال الرئيس حلو. وجد فؤاد بطرس القصر وسيده متجهمين. سأل عن الوضع على الجبهات وعن الجديد في الاجواء السياسية، فاجابه الرئيس حلو ان الرئيس جمال عبدالناصر يطلب اليه ان يعلن الحرب على اسرائيل ويفتح جبهة معها، لعل ذلك يؤدي الى تخفيف الضغط على قواته التي اضحت في حالة صعبة جدا. وفؤاد بطرس الذي يتوقع دائما الاسوأ، لم يكن ينتظر هذه. وعاد الرئيس حلو يلح عليه في السؤال، وما يمكن فعله في هذا الظرف الصعب، لانه من المعروف ان قدرة لبنان العسكرية "على قده".

يقول فؤاد بطرس في مذكراته: "واستمعت بانتباه الى ما قاله وانا اقدر حراجة موقفه، لانه ليس من السهل عليه تجاهل نداء عبدالناصر (...)، وفي المقابل لم يكن من الوارد مطلقا التفكير باعلان الحرب على اسرئيل، بعدما انهارت الجيوش العربية المعدة للقتال في ساعات معدودة، وقلت للرئيس شارل حلو: قرار اعلان الحرب على اسرئيل قرار كبير، ولن يلومك احد ان اخذت نصف نهار للتفكير واجراء مشاورات مع الفعاليات السياسية اللبنانية. اعتقد انه بعد هذه المهلة ستكون المعارك قد انتهت ولا حاجة بك عندئذ لاعلان الحرب". وفي الواقع هذا ما حصل.

كادوا يسمونها وزارة فؤاد بطرس، اما المقر "قصر بسترس" فتحول الى "قصر بطرس" بين الديبلوماسيين. زار فؤاد بطرس فرنسا وقابل الجنرال ديغول عام 1968 في عز اندفاعة الثورة الطلابية في فرنسا ودار حوار مهم صفحة 78:

قال الجنرال ديغول لضيفه: اذا قامت اسرائيل بالاعتداء على لبنان بقصد ضم ارض لبنانية، فليكن لبنان على يقين بأن فرنسا ستضغط على مجلس الامن من اجل القيام بعمل عسكري اذا لزم الامر، واذا لم يكن في امكان الامم المتحدة ان تتحمل مسؤولياتها، فسترسل فرنسا قواتها الخاصة لتدافع عن لبنان. ثم استوى الرئيس الفرنسي في مقعده ونظر محدقا في عيني، واردف: لكن لسوء الحظ، اذا نشبت ازمة في لبنان بسبب نزاع بين البسطة والجميزة، لا فرنسا ولا احد في امكانه ان يفعل شيئا من اجلكم وسيكون ◄

على اللبنانيين الاعتماد على عبقريتهم للخروج من هذا المازق.

في ذلك الوقت، كان لبنان منقسما بين الشهابية والنهج الذي يضم النواب الموالين للشهابية، وخصمها الحلف الذي يضم ريمون اده وكميل شمعون وبيار الجميل.

من اخطاء فؤاد بطرس قبوله بزيارة معمر القذافي في اطار جولة يقوم بها على الدول العربية، وافقت السلطات اللبنانية على الزيارة واتخذت الترتيبات اللازمة لاستقباله وهو آت من دمشق في 11 تموز 1979. وعند الثانية بعد منتصف الليل ايقظت زوجة بطرس زوجها لأن نائب رئيس المجلس الشيخ محمد مهدي شمس الدين يريد الحديث معه، وقال لبطرس: الزيارة اذا حصلت سوف تؤدي الى انفجار، وحياة الزائر في خطر.

يتابع فؤاد بطرس: ايقنت انه علي الخروج من هذه الورطة بأقل اضرار ممكنة على لبنان، اتصلت على الفور بسامي الخطيب قائد قوات الردع، واخبرته ما جرى، فبدا مقدرا خطورة الموقف. اما جوني عبدو رئيس الشعبة الثانية، فقد استخف بالقصة وقال: لا بد ان تحصل الزيارة والتدابير المتخذة تحول دون اي انفجار. فاستحق استخفاف فؤاد بطرس، الذي واصل اتصالاته بدمشق بعد ابلاغ رئيس الحكومة بالوضع المستجد، الذي تهيب الموقف واصر على ضرورة تجنب نشوب مشكلة مع ليبيا. وكتب الوزير بطرس يقول: لعبت سوريا دورا في اقناع الرئيس الليبي بصرف النظر عن الزيارة دون اثارة مشكلة مع لبنان الرسمي.

وانهى الوزير بطرس سرده الحادثة بالكتابة حرفيا: "في الواقع لا بد من الاعتراف بأننا لم ندرك كفاية، ولم نتوقع ردود الفعل والنتائج على زيارة القذافي الى لبنان، وبأننا اخطأنا كمسؤولين رسميين في الدولة اللبنانية. وفي نقاش مع سكرتيري في الخارجية السفير سمير مبارك، في اليوم ذاته، قلت له: ان للشيعة في المستقبل دورا متناميا في لبنان، ولن يتقرر شيء بعد اليوم بمعزل عنهم.

يبقى الاجتياح الاسرائيلي في ذاته الحدث الاخطر في عهد الرئيس الياس سركيس وبالتداعيات التي ترتبت عليه.

ومنذ اليوم الاول لانتهاك اسرائيل القوانين الدولية والاتفاقات المعقودة بعبورها الحدود اللبنانية، اصدر مجلس الامن قراره الرقم 508 في 5 حزيران

بطرس: يجب على وزير الخارجية ان يمنح لبنان ورقة رابحة اينما استخدمها

1982 يحث فيه جميع اطراف النزاع على الوقف الفوري للنشاطات العسكرية. لم تعبأ اسرائيل بالقرار ولا بالمنظمة الدولية، ولا بالدول قاطبة، وواصلت توغلها في الاراضي اللبنانية. وفي اليوم التالي اتبع مجلس الامن قراره الاول بقرار رقم 509، يطلب فيه من اسرائيل سحب قواتها فورا ومن دون شروط الى حدود لبنان المعترف بها دوليا. سخر من القرار الثاني وزير الدفاع الاسرائيلي ارييل شارون. وبتهذيبه الحضاري وذوقه الراقي قال ان هذا القرار يصلح للاستعمال المنزلي.

وعملية الاجتياح هذه اختار لها بطلها ارييل شارون اسما عملانيا ناعما، رومانسيا، ومحبا للبيئة، هو "شجرة الصنوبر الصغيرة"، امعانا في التمويه، وللايحاء بأن العملية محدودة في الزمان والمكان. وحين القى في المعركة 76 الف جندي وضابط، و1250 دبابة، و1500 ناقلة جند، و12 الف شاحنة واكثر من 600 طائرة حربية، ادرك العالم حقيقة نياته العدوانية. وبعد ايام معدودة، استبدل ارييل شارون الاسم اللطيف والرقيق بالاسم الحقيقي، وهو "سلامة الجليل".

انعقد مجلس الوزراء غداة اقدام واشنطن على استعمال "الفيتو" ضد قرار اسباني صارم بوقف اطلاق النار وانسحاب اسرائيل. وطالب عدد من الوزراء بقطع العلاقات مع الولايات المتحدة. توجه اليهم الوزير بطرس بالقول: "ان الاميركيين سيئون واشرار واوغاد، الصقوا بهم ما تشاؤونه من النعوت، لكن يصدف انني في حاجة اليهم لاخراج الاسرائيليين من لبنان. بالنسبة الي، انني احذركم من الخطأ التاريخي الذي انتم على وشك اقترافه. هنا تدخل رئيس الحكومة (الوزان) مؤيدا وجهة نظري، وانضم الي بالتوقف عن المطالبة بقطع العلاقات مع واشنطن، بعد ان كان اعلن صراحة انه مع قطعها". في الاجواء المشحونة التي صاحبت استمرار تقدم الجيش الاسرائيلي، الذي اصبح على بعد امتار من القصر الجمهوري، واحكم حصاره على بيروت الغربية، وصل فيليب حبيب في 14 حزيران 1982، بعد 9 ايام من بدء الاجتياح، حاملا في جعبته محتوى مختلفا تماما عن المرات السابقة، فقد طرح عملية ديبلوماسية معقدة تفضي في نهاية الامر الى اتفاق سلام بين لبنان واسرائيل، والى انسحاب الجيشين السوري والاسرائيلي والمسلحين الفلسطينيين من لبنان، من دون الاتيان على ذكر المدنيين الفلسطينيين المقيمين في المخيمات. هنا المؤشر الاول الذي سجله فؤاد بطرس على بذور التوطين. كما تتضمن ايضا تشكيل قوات متعددة الجنسية باشراف الاميركيين، تضم وحدات فرنسية وغربية عموما، تتولى مهمة حفظ الامن وارساء هيبة الدولة بعد انسحاب القوات الاسرائيلية تباعا من الاراضي اللبنانية. واكد ان واشنطن منعت اسرائيل من استخدام الطيران الحربي الاسرائيلي في لبنان.

كان الوزير فؤاد بطرس يصغي باهتمام الى الموفد الاميركي اللبناني الاصل، والذي كان يبدي عناية خاصة بوطنه الام، وكان فؤاد بطرس يجد في اقتراحاته عناصر ايجابية تستحق عناء المناقشة. لكن "عندما اشار السفير حبيب الى موضوع السلام مع اسرائيل انتفضت وقلت له بصراحة كلية ان مثل هذا الطلب ليس من مجال للنظر فيه. فلا رئيس الجمهورية ولا رئيس الحكومة ولا انا يمكن ان نقبل بوضعه موضع بحث. واضفت ان لبنان هو آخر دولة عربية يمكن ان توقع اتفاق صلح مع اسرائيل".